اهالي تل الامل : لن يغفروا ابدا

قيادة منظمة التحرير بين المواقف المعلنة والمناورات السرية

على عكس كل تقديرات المراقبين المتفائلة ، بأن يكون سقوط تل البطولة درسا مفيدا لقيادة المقاومة الفلسطينية بحيث تتدارك نهجها من التعاطي مع الازمة ، عن طريق الالتزام بخط سياسي سليم فقد اوغلت قيادة منظمة التحرير في نهجها السابق ، حتى انه بامكاننا القول انها تمادت اكثر من ذي قبل في خطها السياسي الذي كان احدى نتائجه السياسية والعسكرية سقوط المخيم البطل لقمة سائغة بيد الفاشيين .

بدلا من ان تحدد قيادة المقاومة ، وبجرأة ، مسؤوليتها عن هذه النتيجة، اخذت تبرر سقوط المخيم بالتدخل العسكري السوري تارة ، وبالموقع العسكري للمخيم تارة اخرى ...

والواقع ان لهذه الاسباب دورا حاسما في نتيجة المعركة على جبهة تل الزعتر . لكنها ليست كل الاسباب التي كانت تتوقف نتيجة المعركة عليها.

فقد كان واضحا وبجلاء ان موقف قيادة المقاومة المأسوم والمتراخي ازاء جشع واطماع معسكر الخصم ، السبب الرئيسي الذي كان وراء سقوط المخيم العملاق .

والى الان ، فشلت قيادة المنظمة في اقناع جماهير تل الزعتر بعدم مسؤولياتها عما حدث ، بالرغم من كل محاولات التمييع والتبرير .

تمييع قضية تل الزعتر

فقيادة منظمة التحرير لم تجرؤ حتى الان ان تجيب على استفسارات ابناء المخيم الذين استطاعوا التسلل منه والوصول بسلام الى المنطقة الغربية ، في الوقت الذي بررت قيادة المنظمة عدم قدرتها على ارسال مجموعات الى المخيم وفتح الطريق اليه ، باستحالة ذلك عسكريا !

ولعل القيادة التقليدية ، تحاول من خلال المؤتمرات الصحفية لابطال المخيم ، واسكان اهاليه في الدامور ، « وتخريج دفعات » من الدورات العسكرية باسم المخيم . ان تراهن على عامل الوقت لكي توقف تساؤلات اهالي المخيم وخلافهم حول الاسباب التي كانت وراء سقوطه..

وحتى قرار منظمة التحرير ، بالتجنيد الاجباري للفلسطينيين ، هذا القرار الضروري لتعبئة مختلف القوى الفلسطينية في المعركة ، اخذت تطبيقاته تحيله الى مجرد عامل لامتصاص النقمة ، وذلك عن طريق التطبيق الفوضوي والفئوي غير المسؤول لهذا القرار .

واذا اردنا رؤية تفصيلية اوضح لاستمرار ذات النهج التي مضت منظمة التحرير في اتباعه بعد سقوط المخيم ، نستطيع ان نشير الى الامور التالية :

محاورة اقطاب الكفور

□ على الصعيد اللبناني ، ما تزال قيادة منظمة التحرير ، مستمرة دون ادنى انزعاج في محاورة اقطاب الكفور . واذا كانت ثمة تغييرات حدثت في هذا الاتجاه ، فكل ما في الامر ان المفاوض باسم المنظمة « ابو حسن » والمفاوض باسم الكفور « اسكندر الجميل » قد غيرا اماكن موائدهم السياسية من الكورال بيتش الى بيت صائب سلام .. وموضوع الانسحاب من الجبل الذي كان المتفاوضون يسعون الى انهائه ، ظل هو الموضوع الرئيسي لمفاوضاتهم حتى بعد سقوط مخيم الامل .

□ وما زالت محاولات قيادة منظمة التحرير في الهيمنة على الحركة الوطنية ، تسود العلاقات بين الطرفين ، فموقف الحركة الوطنية الذي تسجله في الاجتماعات ، لا علاقة فعلية له على صعيد التنفيذ .. وكل تحفظات الحركة الوطنية تذهب ادراج الرياح طالما ارادة قيادة المنظمة لا تريد ذلك !

ولم يعد سرا ان قيادة منظمة التحرير ،تحاول عبر ممارساتها عدم التقيد بالادارة المدنية ، بل وتحاول ما امكن تمييعها ،ولعل حماية التصرفات الشاذة لبعض القياديين السابقين في جيش لبنان العربي ، في صيدا وصور ، مثلا واضحا على عدم التقيد هذا .

قيادة المنظمة والتجمعات الطائفية

وفي حين عبرت قيادة الحركة الوطنية من خلال عميدها كمال جنبلاط عن رفضها للتجمعات الطائفية ، نجد قيادة حركة المقاومة تدعم الجسور فيما بينها وبين التجمع الاسلامي والقيادات التقليدية .

وفي حين تعلن الحركة الوطنية ان لا لقاء مع الخصم ، لا اتفاقات ولا مساومات ، وصمود حتى النهاية .. تستمر قيادة منظمة التحرير التقليدية في المراهنة على الاتفاقات والمساومات كسبيل لحل « الاشكال » !

□ وعلى الصعيد الفلسطيني ، فان موضوعة تفرد قيادة منظمة التحرير ما زالت هي الشكل المهيمن على العلاقات .. فالاجتماعات والقرارات الناتجة عنها ، لا علاقة لها بالتنفيذ .. فالقرار الذي يتخذ مجددا لعمل عسكري مضاد بحيث يكون لهذا العمل انعكاساته السياسية والعسكرية لمصلحة قوى الثورة .. وموافقة الجميع على هذا العمل .. نجد ان بعض القوى بدأت تتحدث عن سحب بعض قواتها من الجبل الى الجنوب بحجة التواجد الاسرائيلي ، وضرورة تنفيذ اتفاقية القاهرة واتفاقية دمشق !.

ونفس الشيء يمكن قوله بالنسبة لقرار التجنيد الاجباري ، فالجبهة الشعبية عندما اقترحت هذا القرار كانت تعي اهمية تجنيد كل الطاقات وتعبئتها في مواجهة الهجمة التي تهدف للنيل من رأس المقاومة ..

وبالفعل تمت الموافقة على هذا الاقتراح بالاجماع ، لكن الانتهازية والفوضوية في تطبيقه اساءت الى هذا القرار النبيل ، حيث تحولت الشوارع الى كمائن وحواجز لخطف المواطنين الى معسكرات التدريب ، في الوقت الذي انيط هذا الموضوع بجيش التحرير الفلسطيني فقط .

الجسور مع الانظمة الرجعية

□ **وعند الحديث** عن العلاقة بين قيادة منظمة التحرير والانظمة العربية يصاب المراقب بالدهشة فكل قادتنا ـ ولله الحمد ـ اصبحوا يعرفون ان الانظمة الرجعية كلها متآمرة على قضيتنا .. ولكن سرعان ما تدعو نفس القيادة لمؤتمر قمة عربي عاجل..توافق عليه الانظمة والممالك المعنة في رجعيتها حتى الثمالة ..

ونفس القيادة التي اعتذرت بأسلوبها الرقيق عما تضمنه بيان دمشق من مساس لا يغتفر باتفاقية سيناء ، تمتدح نظام السادات وكأنه المخلص الوحيد والمنجد الاخير ..

محاكمة الموقف المصري

والحقيقة ان الموقف المصري المعلن من احداث لبنان ، قد اربك الكثير من القيادات التي لم تتمكن ـ بعد ـ من ان تمسك بطرف الموضوع ، لانها لا تتصور علاقة احداث لبنان بالتسوية المرسومة لما يسمى « بقضية السلام في الشرق الاوسط » .

فالسادات الذي صور كيسنجر انه اذا ضمنه ضمن كل الزعامات العربية ، اصبح يدرك انه اعطى كل ما يملك ولم يحتفظ بأية ورقة يراهن عليها .. في حين شعر ان الاسد ما زال يمسك بيده بالورقة الكبرى في خريطة التسوية وهي ورقة « المقاومة الفلسطينية » .. وان الاسد سرعان ما يحول منظمة التحرير الفلسطينية الراغبة بقسط وافر من التسوية ، وتعمل على هذا الاساس .. الى مطية مطواعة بيده عن طريق زعامات كان قد مهد لها الطريق منذ فترة كالبديري وزهير محسن .

وهذا ما يفسر نزوع قيادة المنظمة الى استمرار جسورها مع سوريا خشية من هذه البدائل التي تهدد ليس ما تتوهم انه سيكون حصتها فحسب بل ووجودها ذاته .

نزاع على الورقة الاخيرة

والنظام المصري يريد ان يمتلك ورقة غيره ، عن طريق الاعلان عن « الحرص على المقاومة » « ومحاربة المؤامرات التي يحيكها نظام البعث للثورة الفلسطينية » . ويجد هذا النظام ان المجال مفتوحا امامه على مصراعيه لتنفيذ هذا الهدف .

ولكن السادات نفسه يعرف ان ما يجري من تدخل سوري في لبنان في النهاية يخدم مصالح الانظمة المشتركة سواء فيما يتعلق بضرب الثورة الفلسطينية ، او فيما يتعلق بضرب طموحات الشعب اللبناني في بناء لبنان وطني ديمقراطي، التي في حال تحقيقها تعني تهديدا مباشرا لانظمة الحكم الرجعية كلها .

النظام السوري .. والترياق

□ ونفس الدهشة التي تعتري المراقب لدى تفحصه لمجرى العلاقات بين قيادة المنظمة والتقليديين اللبنانيين وانظمة الحكم الرجعية العربية ، تعود لتعتريه من جديد لدى قراءته لخريطة العلاقات مع النظام السوري ..

فما زال النظام السوري يحتفظ بخيرة شبابنا ومناضلينا في سجونه ..

وما زال هذا النظام يقصف مراكز ثوارنا سواء في الجبل او في طرابلس او في جزين ..

وما زال النظام المذكور .. يمد يد العون بشكل مباشر للقوى الانعزالية ..

ومع ذلك .. فما زالت قيادة منظمة التحرير التقليدية تراهن على الترياق القادم لها من دمشق .. وما زال وفد يمثلها يجري مباحثاته هناك ..

ويصاب المراقب للاحداث بحيرة شديدة ازاء موجة رفض المساومات والاتفاقات التي يعلن عنها بعض القادة في خطاباتهم الجماهيرية في الوقت الذي ما زالت قيادات اخرى تتربع في صالات الاجتماعات مع حكام دمشق او مع ممثل الكتائب اسكندر الجميل .

واقل ما يمكن قوله بهذا الخصوص ، ان هذا الارتباك والتعارض في المواقف يخلق مزيدا من البلبلة لدى جماهيرنا التي اصبحت لا تعرف كيف تسير الامور .. وتشعر ان هناك خداعا كبيرا تمارسه عليها قيادتها من خلال الاعلان عن مواقف معينة ، ثم معارضة هذه المواقف عمليا ..

ويمكن القول ان الحديث عن تخريج دفعة جديدة من مقاتلي فتح في سوريا ـ وهذا محل اعتزازنا وافتخارنا ـ والاعلان عن هذا التخريج بالشكل الاحتفالي الذي تم به وفي هذه الفترة بالذات يخدم بشكل واضح الجسور الممدودة بدون كلل بين قيادة المنظمة التقليدية وبين قادة النظام السوري .

حيره !

ونفس الشيء يمكن قوله ازاء حديث ابو اياد في خطابه الاخير انه لو يعرف ان هناك امل في النظام السوري لذهب مشيا الى دمشق .. وحديث ابو عمار في اجتماع للمقاومة الفلسطينية انه مستعد « للمرونة » اكثر اذا شعر ان هناك امل بتغيير الموقف السوري ..

ان الادلة السريعة المذكورة ، تعطي الانطباع السائد بتوزيع الادوار ، كما تعطي الانطباع بمدى الرومانسية التي ما زالت تعشش في عقلية زعامة منظمة التحرير .

ان الجماهير التي دفعت خيرة ابنائها للقتال ـ والتي ما زالت مطالبة بالاستمرار في ذلك ـ لها الحق كل الحق بأن تعرف الحقيقة ، وتعرف الى اين يقودها زعماؤها . وجماهيرنا التي ضحت بالدم غير مستعدة لان تتقاذفها اهواء « الدبلوماسية السرية » التي تنتهجها بعض القيادات ..

اننا خسرنا الكثير .. ولكننا ما زلنا قادرين على العطاء حتى الانتصار .. ولذا .. فان قيادتنا عليها ان تعي ان الجماهير قد تغفر مرة ، ومرتين واكثر .. ولكنها لن تغفر في النهاية ..

وسنكون اكثر رومانسية اذا طلبنا من قيادة منظمة التحرير اعادة النظر بموقفها ازاء ما يجري في لبنان فحسب ،لاننا على ثقة ان الاحداث اللبنانية هي حلقة اساسية فقط من حلقات التسوية التي ما زالت منظمة التحرير تتمرغ في رجسها حتى الان ..

« انفتاح » سوري مع العدو

في مقال نشرته « الواشنطن بوست » الامريكية ، صرح شمعون بيريز ، وزير حرب العدو الصهيوني ، ان اسرائيل قد تلقت موافقة النظام السوري على فتح الحدود في السهل الفاصل بين البلدين .

وتأتي موافقة النظام السوري على فتح الحدود مع العدو الصهيوني مترافقة مع تصريحات احد الحاخامين بعد زيارته الى دمشق ومقابلته مع « الاسد » ، والتي اشار فيها الى ان الاسد ابدى استعداده للسماح لليهود الراغبين في الهجرة الى اسرائيل بمغادرة سوريا ..

ومن الجدير بالذكر ان ٤٤٤ يهوديا كانوا قد ابدوا رغبتهم في الالتحاق بذويهم في فلسطين المحتلة .

وهذا يشير الى طبيعة توجهات حكام دمشق لمزيد من « الانفتاح » مع العدو الصهيوني ... ضمن اطار التسوية المطروحة .